حسن التعامل مع نقائص البشر

قطعة من:

شرح رسالة الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد

العبيكان
Obeikan

فصل[١]

وفي قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر»، فائدتان عظيمتان[٢]:

---

(١) قوله: «**فصل**»: هذا شروع في بيان **السبب الثاني عشر** من أسباب السعادة، **ألا وهو حسن التعامل مع نقائص البشر، وتوطين النفس على تحمل عيوبهم**؛ ذلك أن الناس -عمومًا- مجبولون على النقص؛ إذ الكمال عزيز؛ فأي الرجال المهذبُ؟ ومن ذا الذي ترضى جميع سجاياه. فإذا استحضر الإنسان هذا المعنى، وأدرك أن الناس يختلفون طبعًا، وذوقًا، وتربية، وتعليمًا، ثم عامل الناس على هذا المقتضى - أراح نفسه، وأراح غيره ممن يتعامل معهم.

(٢) قوله: «**وفي قول النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...» إلى قوله: «**فائدتان عظيمتان**»: استشهاد على تقرير القاعدة السابقة، التي تعد من قواعد السعادة، وأهم مقوماتها، ألا وهي **حسن التعامل مع النقائص البشرية**. وساق هذا الحديث العظيم الذي رواه مسلم في صحيحه (١٤٦٩)، والذي يؤصل لتلك القاعدة.

ومعنى: «**لا يفرك**»: أي لا يكره، ولا يمل، ولا يبغض.

والمراد من هذا الحديث توطين الزوج على حسن المعاشرة لزوجته؛ بحيث يَقْبَلُها بما فيها؛ لأن طول المعاشرة، وقرب كل واحد من المعاشرين إلى معاشره -يفضي إلى معرفة كل طرف بصاحبه معرفة دقيقة؛ فيرى كلُّ طرفٍ صاحبه حال غضبه ورضاه، وحال صحته ومرضه، وحال قوته وضعفه، وحال صعوده وهبوطه، وهكذا... =

.....

= وذلك قد يورث كراهيةً، أو ملالةً، أو بغضاء، أو سوءَ عشرة عند بعض الناس.

فإذا وطن الزوج -رجلًا كان أو امرأةً- نَفْسَه على هذا المعنى لم يَعُدْ للفرك مكان؛ إذ الفرك من الشيطان، والإلف من الرحمن -كما يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

وبذلك تتصافى الأسر، وتتعايش بالمعروف، والمداراة، والتذمم، وقبول كل طرف بالطرف الآخر؛ فَفَرْقٌ بين من تصاحبه باستمرار، ومن لا تلقاه إلا لمامًا. ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر**»، يعني قد يكون فيها عيبًا خِلْقِيًّا، ولكن فيها محاسن أخرى، تغطي ذلك العيب.

وقد يكون فيها عيبًا خُلُقيًّا، ولكن يوجد فيها مناقب، ومكارم تغمر ذلك العيب، وهكذا...

فلو زهد كل زوجٍ بزوجه لمجرد أدنى عيب، لما بقي بيت من البيوت ملتئمًا متماسكًا.

والحديث خاص بالزوج مع زوجه؛ لكون تلك المعاشرةِ، والمعاملة أقوى الروابط، وأشدَّها اتصالًا.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يعمم هذا المعنى؛ فلا يَقْصُرُه على الحياة الزوجية، وإنما يرى أنه صالح لكل المتعاشرين، والمتعاملين.

ولهذا ذكر أن في الحديث **فائدتين عظيمتين**، وشرع في ذكرهما على نحو ما سيأتي.

وهما -بلا ريب- عظيمتان، بل هما منهج حياة يُرتَسَم، ويفضي إلى السعادة، وحسن الرعاية، والعشرة.